الاستنساخ البشري من منظور العلم والدين والأخلاق

د. سعاد أبو العيد علي بن عطيوة
كلية الآداب بالزاوية/ جامعة الزاوية

ملخَّص البحث:

إنَّ الاستنساخ دليل علمي جديد على وجود الله، وأنَّه وحده الخالق البارئ المصوِّر؛ لأنَّ المواد التي تعامل ويتعامل معها العلماء في عملية الاستنساخ هي من صنع الله، وليست من نتاج مخابرهم، وليس فيها إبداع بشري على الاطلاق، فهم لم يتمكَّنوا رغم محاولاتهم لعشرات السنين من صناعة حمض نووي حي واحد، بحيث ينمو وينقسم وينتج نفسه بنفسه، أو ينتج غيره من الأحماض والقواعد النيتروجينية والبروتينات لتمكِّنه من تكوين مخلوق جديد حقير كالذبابة! أو حتى جناحاً من جناحيها.

إنَّ التطوُّر العلمي أمر بالغ الأهمية، وهو مفيد إذا كان محقِّقاً خيراً أو نفعاً للإنسان، وضاراً أو ممنوعاً إذا كان مؤدياً لشر أو ضرر بالإنسان، لأنَّ المعرفة العلمية يجب ألا تكون على حساب الإنسان، لأنَّ الإنسان أكرم مخلوقات الله، وأهم من المعرفة العلمية التي من المفترض أنْ تخدم مصالحه وتحقِّق غاياته وسعادته، وحتى لو أمكن استنساخ طفل سليم معافى من الأمراض، أو تقديم ما يحتاج إليه إنسان من قلب أو كبد أو كليه من إنسان مستنسخ عنه.

فكان من الضروري اخضاع الاستنساخ البشري لسلطان الدين والاخلاق والقيم السلوكية ومقتضيات التنظيم الاجتماعية للأسرة والمجتمع، ومن ثمَّ لا نرى حرجاً في الأخذ بتقنيات الاستنساخ والهندسة الوراثية في مجالي النبات والحيوان في حدود الضوابط المعتبرة.

دعت جمعية أطباء العالم جميع الأطباء إلى وقف الأبحاث المتعلِّقة بعمليات الاستنساخ البشري، لحين دراسة القضايا الأخلاقية والقانونية والعلمية الخاصة بهذا الشأن.

ولهذا فالشريعة الإسلامية بنصوصها المطلقة، وقواعدها الكلية، ومقاصدها العامة تمنع دخول الاستنساخ في عالم البشر لما يترتَّب عليه من المفاسد والأضرار، ولذا منع الاستنساخ البشري العادي –لا يشمل منع الاستنساخ الجنسي والعلاجي– فإنْ ظهرت مستقبلاً حالات استثنائية، عرضت لبيان حكمها الشرعي من حيث الجواز والمنع، فلا بد لنا من توعية الجميع بحقيقة الاستنساخ وأخطاره وإصدار التشريعات التي تحظره بكل أنواعه التكاثري والعلاجي على حد سواء، فالتكاثري يقصد به تكاثر الإنسان من طريق ولادة أناس مستنسخين، والعلاجي يقصد منه علاج المرضي من الناس، بحيث يقتل الجنين بعد أنْ يمر عليه أسبوع في الرحم بدلاً من أنْ يسمح له بالبقاء فيها، حتى يحين أجل ولادته، وهذا ما يحدث في الاستنساخ التكاثري، والغرض من إهلاك الجنين هو الحصول على خلاياه الجذعية، تلك الخلايا التي يمكن أنْ تختص وتتكاثر إلى أنواع خلايا الجسم المختلفة، ممَّا قد يحتاجه أو يرغب به الآخرون.

Abstract

That cloning is new scientific evidence of the existence of God, and that He alone is the Creator, the Innocent, the Imager, because the materials that scientists deal with and deal with in the process of cloning are God-made and not the product of their laboratories, and there is no human creativity at all, as they were unable, despite their attempts for decades, to manufacture acid One living nuclear, where it grows, divides, and produces itself, or produces other acids, nitrogenous bases, and proteins to enable it to form a new, despicable creature like a fly!or even one of its wings.

Scientific development is very important, and it is beneficial if it brings good or benefit to man, and is harmful or forbidden if it leads to evil or harm to man, because scientific knowledge should not be at the expense of man, because man is the most honorable of God's creatures, and more important than scientific knowledge – Which is supposed to serve his interests and achieve his goals and happiness - even if it is possible to clone a healthy child free of diseases, or to provide what a person needs from the heart, liver or kidneys of a cloned person.

It was necessary to subject human cloning to the authority of religion, morals, behavioral values, and the requirements of the social

organization of the family and society, and therefore we do not feel embarrassed in adopting cloning techniques and genetic engineering in the fields of plants and animals within the limits of the considered controls.

The Society of Médecins du Monde called on all physicians to stop research related to human cloning until the ethical, legal and scientific issues in this regard are studied.

Therefore, the Islamic Sharia, with its absolute texts, its general rules, and its general intentions, prohibits the entry of cloning into the human world because of the evils and harms it entails. Therefore, banning ordinary human cloning - the prohibition does not include sexual and therapeutic cloning - if exceptional cases appear in the future, they are presented to clarify their legal ruling in terms of Permissibility and prohibition, so we must educate everyone about the reality of cloning and its dangers, and issue legislation that prohibits it in all its forms, both reproductive and therapeutic. Instead of being allowed to remain in it until the time of his birth--which is what happens in reproductive cloning--the purpose of destroying the fetus is to obtain its own stem cells, those cells that can specialize and multiply into the different types of cells of the body that others may need or desire.

مقدمة:

الحمدُ لله الذي علّم بالقلم، والصلاة والسلام على من أُوتي جوامع الكلم.

لقد شهد هذا العصر الحديث وبخاصة النصف الثاني من القرن الماضي تقدُّماً علمياً هائلاً في كافة المجالات، فتطوَّرت العلوم بشكل سريع ومذهل في العقود الأخيرة، وكان نصيب الطب وعلومه من هذا التطور كبيراً جداً، حتي أصبح بالإمكان السيطرة على عدد كبير من الأمراض المستعصية، والأورام الخبيثة التي كانت وحتي عهد قريب قاتلة، وجنباً إلى جنب مع هذا الازدهار العلمي الطبي تطوَّرت التقنية البيولوجية التي كشفت للعلماء بعضاً من أسرار الخلق والإخصاب، وساعدتهم على معرفة تركيب وبنيان وخواص الكروموسومات والجينات والمورَّثات، وآلية انتقالها عبر الأجيال، ففي أوائل شهر مارس عام1997م تناقلت وكالات الأنباء العالمية حدث علمي كبير، مفاده أنَّ العلماء استطاعوا أنْ ينسخوا صورة طبق الأصل عن كائن حي، باندماج خليتين فكانت النعجة (دوللي) من

اندماج خلية حية وبويضة مفرَّغة من مورثاتها، وكان لهذا الخبر ردود وأفعال وأقوال علمية ودينية وأخلاقية واجتماعية، ناتجة من الخوف الكامن من أنْ يطبَّق هذا الاكتشاف العلمي على الإنسان.

إنَّ ولادة الكائن (النعجة دوللي) حدث استثنائي... كان حدث بيولوجي مجرَّد كشف علمي في سلسلة كشوفات علمية متتابعة، فهذا الحدث صعَّد الجدل حول مصير الإنسان على ضوء التطور العلمي في مضمار البيولوجيا، وأعاد قضية الأخلاق والعلم والدين إلى صدارة الهواجس والمخاوف الإنسانية، وما واكب الحدث الاستنساخي من جدل علمي وسياسي واقتصادي واجتماعي وأخلاقي، أكَّد حالة القلق العامة تجاه العلم بشكل عام، وليس حدث الاستنساخ فقط.

أثار حدث الاستنساخ ردود فعل مختلفة، وأطلق العنان لخيالات ومشاريع تراوحت ما بين المعقول وغير المعقول، وأفرز مشاعر تراوحت ما بين الرفض والاستنكار والخوف والدهشة، وفي مواجهة هذا الحدث الخطير وقف العامة والخاصة مواقف متميزة، كما هو الحال في مواجهة المستجدات، منها مواقف الرفض حيث ظهر فريق من الناس– وهم الأكثرية– يقاومون الاستنساخ ويرفضونه في جميع أشكاله وصوره، وفي مبادئه وأهدافه، في النبات والحيوان والإنسان، باعتباره أمراً عجيباً مشبوهاً وغير مألوف، مواقف الانبهار: وهو انبهار وصل إلى تأليه العلم واعتباره شيئاً لا يخطئ، وفيه كل العصمة، ومواقف السواء: وتقوم على التوقف والتأني والالتزام بالتبصر والتمييز، فلا رفض للعلم ولا تأليه للعلماء، وهذا الموقف هو الراشد والقادر على الإدراك.

تحّير الناس في أمر الاستنساخ، ودُهشوا دهشة عظيمة، فلقد ظنوا إنَّما هو خلق أو شيء كالخلق! فُبهتوا، وظن بعضهم قد يكون هذا الأمر زعزعة للإيمان في النفوس، والحقيقة أنَّ الاستنساخ ليس خروجاً ومروقاً وكفراً بحد ذاته، وإنَّما هو جهد علمي إنساني تقييمه وقيمته في أهدافه ووسائله.

إنَّ حادثة الاستنساخ حادثة مهمة جداً على جميع الأصعدة، وتستحق الدراسة والتمحيص الدقيقين، وهذا الاكتشاف العلمي غير المعهود وغير المسبوق يحتاج إلى توقف عنده وتقديم دراسة اجتماعية واقتصادية وأخلاقية ودينية، لتقديم دوره في حياة البشر، أهو خير كله؟ أم هو شر كله؟ أم هو في أحد جوانبه خير وشر في جانب آخر.

تلك التساؤلات تحاول أنْ تجيب عنها هذه الدراسة، من خلال عرض الآراء العلمية الطبية للاستنساخ ومناقشة الأقوال الفقهية التي تطرَّقت بالبحث إلى طائفة من الأحكام العقائدية والأخلاقية التي تتصل بموضوع الاستنساخ، ودراسة الهموم الأخلاقية التي تحيط بموضوع الاستنساخ البشري والأخطار والشكوك التي ترافق تقنية الاستنساخ الحالية.

إشكالية ومنهج البحث:

تتمحور الإشكالية التي يطرحها البحث، ونحاول الإجابة عنها في: ما معني الاستنساخ، وماذا يترتب عليه من أثار طبية وإنسانية وأخلاقية ودينية؟.

إنَّ الاستنساخ حادث علمي، يثير الاهتمام بوجوده أولاً، وبما ينجم عنه من احتمالات خطرة على الوجود في الطبيعة وفي المجتمع وهي نتائجه، أمَّا قيمته الأخلاقية فتنبثق عن الهدف المراد منه، والغاية على الدوام قيمة، والقيمة تجتذب الفعل وتنميه، والأسلوب الذي اتبعته أثناء إعداد هذا البحث هي الرجوع إلى الدراسات السابقة للموضوع، والاطلاع على البحوث المنشورة في المجالات العلمية، وعلى قرارات المؤتمرات الإسلامية التي عُقدت لمناقشة موضوع الاستنساخ البشري، وقد استفدت من كل هذه الدراسات والبحوث معتمدة في ذلك على المنهج التاريخي، والوصفي التحليلي، وقد تناولت هذا الموضوع الفصول الآتية:

الفصل الأول: الاستنساخ البشري من منظور العلم:

أولاً: المفهوم العام للاستنساخ وماهيته:

1- تعريفه لغة: الاستنساخ في اللغة مصدر معناه طلب عمل نسخة أخرى من كتاب مكتوب، أي: مطابقة للأصل تماماً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] وقال صاحب لسان العرب: معناه: نستنسخ ما تكتبه الحفظة، فيثبت عند الله، نسخ الشيء، ينسخه نسخاً وانتسخه واستنسخه.[2]، فالاستنساخ هو الصورة المطابقة تماماً للأصل، وكانت هذه الكلمة تستعمل بكلمة نسخ فتقول: أنسخ لي من هذه الصورة عشر صور متطابقة.

1- تعريفه علمياً وطبياً:

الاستنساخ: "هو توليد كائن حي أو أكثر إمَّا بنقل النواة من خلية جسدية إلى بويضة منزوعة النواة، وإمَّا بتشطير بويضة مخصَّبة في مرحلة تسبق تمايز الأنسجة والأعضاء".[3]

وهناك من عرّفه بقوله: "هو أخذ خلية جسدية من كائن حي، تحتوي على كافة المعلومات الوراثية، وزرعها في بويضة مفرَّغة من مورثاتها؛ ليأتي المخلوق الجديد أو الجنين مطابقاً تماماً للأصل – أي الكائن الأول الذي أخذت منه الخلية".[4]

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأنَّ الاستنساخ هو تشكيل كائن حي كنسخة مطابقة تماماً من حيث الخصائص الوراثية والفسيولوجية والشكلية لكائن حي آخر، فهو إذن توالد لا جنسي، ويسمَّى لا جنسي؛ لأنَّ التكاثر الجنسي الطبيعي يتم من لقاء حيوان منوي من رجل ببويضة أنثوية من أنثى، ويحدث هذا عقب لقاء جنسي وشهوة بين الرجل والمرأة، ويتم اللقاح والإخصاب، وهذه هي الطريقة الطبيعية والصحيحة التي ارتضاها الله تعالى لخلقه، والاستنساخ الحيواني والبشري يختلف عن هذه الطريقة التي تتبعها البشرية منذ آلاف السنين، وذلك باستنساخ كائن حي، يتم بأخذ خلية جسدية من كائن حي، تحتوي على كافة المعلومات الوراثية وزرعها في بويضة مفرَّغة من مورثاتها، ليأتي الجنين أو المخلوق مطابقاً تماماً في كل شيء للأصل، أي الكائن الأول الذي أُخذت منه الخلية وبذلك يتم الاستغناء عن الحيوان المنوي واللقاء الجنسي.

ثانياً: الاستنساخ البداية والتطور:

بدأت محاولات الاستنساخ في الإنسان في العقد الثالث من القرن العشرين، عندما حاول الحزب النازي بقيادة هتلر إنتاج عرقٍ آري متميز عن غيره من البشر، إلا أنَّ التقنيات المتوفرة حينئذ لم تُسعفه، ولقد بدأت تجارب الاستنساخ الحيوي عندما نجح فريق بحثي بالولايات المتحدة الأمريكية في إجراء عملية تجميد لأجنة الأبقار في درجة 79 تحت الصفر، ورغم إجراء هذه العملية ونجاحها إلا أنَّ الأساس الوراثي لذلك لم يكن مفهوماً، وفي عام 1962م استطاع العالم الأمريكي (جون جوردن) أنْ يستنسخ أجنَّة الضفادع، لكن الأجنَّة ماتت في أطوارها الجنينة، ولم تصل إلى الطور البالغ، وفي عام 1978م ولد أول طفل بتقنية الإخصاب خارج الرحم، أو ما يعرف بأطفال الأنابيب، وقد عُد ذلك حدثاً طبياً له

انعكاساته الطبيبة والخلقية، وفي عام 1979م، استطاع عالم الأجنة (كارل المنسي) من نزع نواة بويضة أنثى الفأر، ووضعها في بويضة أخرى بعد تفريغ البويضة الثانية من مادتها النووية، كما تمَّ في نفس العام إجراء عمليات التطعيم الوراثي للأطقم الوراثية، حيث يتم إدخال جينات محدَّدة بعد نزعها من أطقمها في أطقم جديدة لإكسابها صفات محدَّدة، وفي عام1981م، استطاع فريق بحثي بجامعة (جنيف) إنتاج فئران بالغة بنفس التقنية التي استخدمها (كارل المنسي)، وفي عام 1983م استطاع الباحث (برنستار) أنْ يزرع جينات آدمية يمكنها أنْ تتحكَّم في هرمونات النمو للفئران لتنتج فئران عملاقة ذات حجم كبير، وفي عام 1993م نجح عالم الوراثة الأمريكي (جيري هول) وزميله (استيلمان) في أنْ يجريا استنساخاً للأجنة البشرية، وذلك بنزع نواة خلية جنينية في مراحلها المبكِّرة، ثم زرعها في خلية بويضة ثم تفريغها من نواتها، لتعاد بعد ذلك إلى الرحم لتنمو نمواً طبيعياً إلى جنين، وفي عام 1995م استطاع الباحث (آيانويلموت) وفريقه البحثي بمعهد (روزلين) بأدنبرة في اسكتلندا، من استنساخ أحد الخراف من خلال تقنية الخلايا الجنينية المبكِّرة، وقد أعلن (ويلموت) عن أمله في إجراء عمليات الاستنساخ الحيوي من خلايا بالغة متخصِّصة.[5]

وفي عام 1996م أعلن معهد روزلين عن إنتاج أحد الخراف بتكنولوجيا النقل النووي الجنيني، والمحمَّلة بالعديد من الأطقم الوراثية المعدَّلة لإنتاج مركَّبات دوائية، وفي عام 1997م أعلن الدكتور (آيانويلموت) وفريقه عن إنتاج نوع جديد من الخراف (دوللى) وبتقنية بيولوجية جديدة تماماً[6] وعقد (إيان ويلموت) مؤتمراً صحفياً ليعلن إلى العالم ولادة أول نعجة تتم ولادتها بطريقة الاستنساخ الجسدي، أي عن طريق أخذ خلية ناضجة من ثدي نعجة حامل، ووضع نواتها في بويضة نعجة أخرى، بعد تفريغها من النواة التي تحمل جيناتها الوراثية، وعندما بدأت عملية الانقسام، تم وضع النطفة في رحم نعجة ثالثة، لتتم ولادة (دوللي) لتكون نسخة متطابقة، وصورة طبق الأصل عن النعجة الأولى التي تم أخذ الخلية الجسدية من ضرعها.

وعدَّت هذه العملية ثورة علمية بكافة المقاييس، وضعت العالم كله في لحظات من الذهول، تتراوح ما بين عدم التصديق، والرفض والانبهار، وكان السؤال الذي يتردَّد على كل لسان هو: هل يمكن أنْ يحدث ذلك الاستنساخ في الإنسان؟ هل يمكن أنْ تنجب المرأة دون الحاجة إلى الرجل؟ هل يمكن أنْ نستنسخ صوراً أخرى من الذين نحبهم ولا نريد أنْ نفارقهم؟

هل يمكن أنْ نستنسخ صوراً أخرى من العباقرة الذين لا يتكرَّرون؟ وطرحت العديد من الأسئلة، لعل من أهمها كيف سيكون حال الشخص المستنسخ؟ وكيف ستكون عليه حالته النفسية؟ ثم كيف ستكون عليه صحته الجسدية وعمره وشيخوخته؟ وما هي نوعية الأمراض التي يمكن أنْ تصيبه من خلال العبث في جيناته وهي مازالت نطفة؟ وهل يمكن أنْ نرى مستقبلاً عالماً من النساء يتكاثرن جسدياً دون الحاجة إلى الرجال؟

ولم تلبث الضجة التي أحدثها مولد (دوللى) أنْ تهدأ، حتى خرج فريق من العلماء بالولايات المتحدة ليعلنوا خبر ولادة أول تؤام من قرود (الريزوس)، وهي من الثدييات، تلك الفصيلة التي ينتمي إليها الإنسان، وأقرب شبه إليه عن طريق الاستنساخ الجنسي، حيث صرَّحت الدكتورة (سوزان سميت) من مركز أبحاث بيقر بولاية أريجون لأبحاث القردة العليا "أنَّ القردين ولدا نتيجة عملية استنساخ من خلايا جنينية، وأنَّهما بصحة جيدة، وأنَّ القردة المستنسخة ستساعد في البحوث كحيوان تجارب متماثلة متميزة".[7]

ثالثاً: الاستنساخ البشري من وجهة نظر العلماء والأطباء[8]

لقد أثارت تجربة النعجة (دوللي) العديد من الأسئلة، والتي هي في حاجة لإجابات قاطعة، لعل من أبرزها، هل تنجح هذه التجربة مع الإنسان؟ و ما مدى صعوبة استنساخ كائن بشري؟ هل سيكون الاستنساخ مصدر خير للبشرية؟ أو مصدر شر لها؟ وما مضاره؟ وما فوائده؟، ومثل هذه التساؤلات أسهمت بإنتاج مواقف شبه متسرِّعة، لكنَّها حاسمة قرَّرت فيها أغلب الدول الأوربية والعربية تحريم الاستنساخ البشري ذاته، إنَّ موضوع الاستنساخ البشري له مؤيدون ومعارضون، وفي الوقت نفسه إنَّ ما يثار حول استنساخ البشر من مشكلات أو نقاشات، ينحصر فيمن يؤيده ويعارضه، فالمؤيدون للاستنساخ البشري يشيرون إلى فوائد يدعون إمكانية حصولها، فالدكتور(كولين ستيوارت) مدير معامل السرطان وبيولوجيا في أمريكيا، يعتقد بأنَّه لو ثبت أنَّ ما حدث مع النعجة (دوللي) يمكن تكراره في الخلايا البشرية، فذلك سوف يفتح الباب أمام حل الكثير من المشكلات والمعضلات الطبية، التي يقف الطب عاجزاً أمامها[9]، كما يرى البعض أنَّه على المدى البعيد يمكن من خلال عملية الاستنساخ، وتحويل الخلية الجسدية الناضجة إلى خلايا جينية، يمكن أنْ تعطي أعضاء الجسم المختلفة، وبذلك يمكنهم توجيه الحامض النووي بداخلها لاستنساخ أعضاء

معيَّنة لاستخدامها مثل: القلب والكبد والكلى، دون الحاجة لاستنساخ إنسان كامل[10] وزرعها في الإنسان الذي يحتاج إليها.

ويقول عالم آخر "إنَّ من أهم أسباب تثمين تقنية الاستنساخ، والترحيب بها، هو إعطاء الرجال والنساء العقيمين الفرصة حتى يحصلوا على أطفال لهم، وأنَّ الأزواج الذين لا يمكن أنْ يحصلوا على أطفال لهم قد يمكن لهم أنْ يحصلوا على الأطفال من طريق الاستنساخ"[11] ويضيف الدكتور(كوهن) بالخصوص "أنَّ الاستنساخ البشري سوف يجعل في إمكان هؤلاء الناس العقيمين أنْ يحصلوا على أطفال، وأنْ يتفاخروا بقدراتهم الجنسية التي تتجلَّى من خلال تقنية الاستنساخ من طريق نقل النواة"[12] كما أشار بعض علماء معهد روزالين – وهو المعهد الذي استنسخ النعجة دوللي–" أنَّه "يمكن باستخدام تقنية الاستنساخ تطوير علاج مرض الزهايمر (فقدان الذاكرة) وباركنسون (الشلل الرعاش) اللذان يصيبان كبار السن"[13] تلك كانت بعض أقوال العلماء المدافعين عن الاستنساخ البشري، حيث نجد أنَّهم يروِّجون له، ويقولون إنَّه في حد ذاته أمر علمي بيولوجي، ولا ينطوي على الشر، إلا إذا استخدم في المجالات الشريرة، ولا على الخير، إلا إذا تم توظيفه في الخدمات والمجالات الخيِّرة، وبالخصوص أوصت هيئة الإخصاب والأجنَّة البشرية واللجنة الاستثمارية للعلوم الجينية البشرية بالموافقة على الاستنساخ البشري للأغراض العلاجية، ولكن ليس للحصول على أطفال مستنسخين".[14] في حين نجد فريق آخر من العلماء يقاومون الاستنساخ ويرفضونه في جميع أشكاله وصوره، وفي مبادئه وأهدافه، باعتباره أمراً عجيباً مشبوهاً وغير مألوف. منهم الدكتور(فوست) الذي يذهب إلى القول "باستنساخ البشر ثم سلب أعضائهم الحيوية، كالقلوب أو الأكباد منهم، باعتبارها فكرة لا يمكن تصوُّرها".[15]

وهناك من يعترض على استنساخ البشر على اعتباره جزءاً من مجموعة التقنيات التناسلية، وزعموا أنَّ هذه التقنيات تفصل النتائج الموحَّدة والإيجابية للنشاط الجنسي البشري، وتحوَّل الإنجاب الذي يصنع البشر في دورها مساعد الخالق إلى إنتاج".[16]

كما أوصت هيئة الإخصاب والأجنَّة البشرية البريطانية عام 1998 بحظر كلي على ولادة البشر المستنسخين، والتقنيات المصاحبة لذلك، مع إجراءات مستعجلة لعمل اتفاقية عالمية حول ذلك من خلال قمَّة تقنية حيوية.[17]

وقام النائب الألماني (بيتر لايز) بشجب وإدانة دعوة القائلين بالسماح باستنساخ الأجنَّة البشرية لاستخدامها في البحوث الطبية بقوله: "أنَّه وحتى الوقت الحاضر، قد اعتبر كل إنسان يملك الشعور بالمسئولية، بأنَّ من غير المسموح به استنساخ الأجنَّة البشرية، ولأي سبب كان".[18]

وقال (فدريكومايور)، مدير عام اليونسكو – في بيان لليونسكو باريس عام 1998– "إنَّ الاستنساخ البشري لا يمكن قبوله تحت أي ظرف، مشيراً إلى أنَّ الإعلان العالمي حول حقوق الإنسان الذي تم إقراره في عام1997، من جانب الدول الأعضاء في اليونسكو، وعددها 186 دولة يحظر تلك الممارسة بوصفها إساءة للكرامة الإنسانية".[19]

رابعاً: منظمة الصحة العالمية تعارض الاستنساخ البشري.

أعلن مدير منظَّمة الصحة العالمية بأنَّه "ليس من المقبول أخلاقياً للعلماء، في أنْ يستنسخوا يوماً ما مخلوقات بشرية".[20]

وقال الدكتور (هيروشيناكاجيما) في تصريح له نشر سنة 1997م بأنَّ "استنساخ أفراد من البشر ينتهك واحداً من المبادئ الأساسية التي تحكم الإنجاب المساعد عليه طبياً"[21] ومن ضمن تلك المبادئ ضمان أمن وسلامة المادة الوراثية الإنسانية.

كما قام البرلمان النرويجي في الوقت نفسه بإصدار قانون يحظر بموجبه استنساخ الإنسان والمخلوقات العالية في سلَّم التطور، واعترض بعض علماء النرويج قائلين: "إنَّ التشريع الشديد التضييق، والذي تم تشريعه سريعاً، يُظهر مدى عدم ثقة البلد بالتقنية الحيوية".[22]

في حين خرجت لجنة الآداب الطبية القومية الأمريكية بنتيجة مفادها، أنَّ الحصول على الأطفال بهذه الطريقة هو عمل غير أخلاقي في الوقت الحاضر؛ لأنَّ الدلائل تشير إلى أنَّ مثل هذه التقنيات سوف لن تكون فعَّالة وآمنة"، وتبقى هناك أسباب للقلق حول الآثار السلبية لاستخدام تقنية كهذه على كل من الأفراد والمجتمع"[23] لهذا أوصت اللجنة بسن قانون يمنع أياً كان من محاولة الحصول على طفل من خلال الاستنساخ عن طريق نقل الخلية الجسدية، كما حذَّر عالم الفيزياء النووية (جوزيف روتبلات) الحائز على جائزة نوبل للسلام أنَّ إطلاق العنان لتجارب الهندسة الوراثية قد يقود إلى عواقب ومخاطر تفوق أخطار الأسلحة النووية.[24]

وفي حديث رئيسة لجنة العلوم والتكنولوجيا بمجلس العموم البريطاني، عقب الإعلان عن تجربة (دوللي) قالت: "إنَّني أرى أنَّه لابد من منع أي محاولة للاستنساخ البشري، وتوقيع أقصى عقوبة على الباحثين المخالفين لهذا".[25]

كما تبنَّت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1998م الإعلان العالمي حول البنية الوراثية البشرية، الذي يحظر بشكل خاص الاستنساخ لأغراض التكاثر، ويعتبر الإعلان أنَّ المجموع الوراثي البشري جزء من تراث البشرية، وأنَّ على الأبحاث الوراثية أنْ تحترم بالتالي كرامة الفرد وحريته وحقوقه.[26]

خامساً: الاستنساخ البشري من منظور الدين.

لقد أحدث استنساخ النعجة (دوللي) ضجةً كبيرةً، واستياءً عاماً لدى كافة شعوب الأرض، وتشويشاً في عقيدة ضعاف القلوب من مسلمين ومسيحيين ويهود، ولقد ازداد الأمر سوءاً عندما أعلن العلماء عن نيتهم استنساخ بني البشر، فعارضتهم كافة طوائف الأديان السماوية، فقد أنكر علماء المسلمين والأزهر الشريف هذا العبث غير الأخلاقي بخلق الله.

1. المسيحية والاستنساخ البشري:

الكنيسة الكاثوليكية أعطت رأياً في الاستنساخ على لسان (الكاروينال ويلم كيلر) من بالتيمور أمام المجلس الوطني للأساقفة الكاثوليك قال: "الاستنساخ خاطئ؛ لأنَّ البشر المستنسخين يملكون الكرامة البشرية فعلاً، وهم جديرون بأنْ يأتوا إلى العالم بطرق تحترم هذه الكرامة، وقال إنَّ الكنيسة تعارض بقوة إنهاء الحياة الإنسانية من طريق الإجهاض، وكذلك تجارب قتل الأجنة.[27]

أمَّا الفاتيكان فقد أعلن بعد اجتماع الجمعية العمومية للأكاديمية البحرية من أجل الحياة في 23-25-2-1998م "أنَّ الاستنساخ كشكل من أشكال التحكُّم بالتكوين الجيني للإنسان يشكِّل مساً خطيراً بكرامة الكائن وحقه في تكوين جيني غير محدَّد سلفاً، ولا يمكن استنساخه[28] وفي 25-11-2001 ندَّد الفاتيكان باستنساخ الباحثين الأميركيين لجنين بشري وقال: إنَّ العلماء عبثوا بالحياة الإنسانية، وليس مجرَّد الخلايا، وقال إنَّ ما حدث يظهر مدى الفداحة الأخلاقية لهذا المشروع، ويستلزم إدانة صريحة، وبعد أيام من إصدار الحكومة البريطانية والولايات المتحدة أحكاماً تفتح الباب لإجراء تجارب الاستنساخ على

الأجنَّة البشرية، قال البابا يوحنا الثاني"إنَّ محاولات الاستنساخ البشري بغرض الحصول على أعضاء يتم نقلها مادامت تتضمَّن التلاعب بالأجنة البشرية وتدميرها، فإنَّها ليست مقبولةً أخلاقياً".[29]، ولم يكن (البابا شنودة) أقل اعتراضاً من حيث المبدأ، حيث أعلن أنَّه ليس ضد العلم والتقدُّم العلمي، ولكن ما يمس الإرادة الإلهية مرفوض".[30]

كما أعلن (القسيس فرانك ياقون)– وهو رئيس للقسيسين مدى الحياة – إنَّ الكنيسة الكاثوليكية، ورغم أنَّها لا تعادي البحث العلمي واستنساخ النباتات والحيوانات، فإنَّ الفرد البشري هو شيء آخر، وأنَّ للكائن البشري حرمة أكبر وأعظم، وهي لن يكون التهاون فيها إلا سبباً لهلكتنا"[31] وأضاف القسيس (رونا لدكول) قائلاً "إنَّ الاستنساخ البشري ليس بالشيء الأمن، كما أنَّه عملية تنم عن عدم الشعور بالمسؤولية، وأنَّه سوف لن يقرِّبنا إلى الله".[32]

2. اليهودية والاستنساخ البشري:

أمَّا عن نظرة اليهود والديانة اليهودية للاستنساخ البشري فإنَّ الشرَّاح اليهود أبدوا رأيهم في هذا الموضوع، حيث قال بعضهم إنَّ استنساخ أي من المخلوقات هو متعارض مع الديانة اليهودية، في حين قال آخرون من اليهود، إذا كان الاستنساخ الحيواني بهدف إنتاج غذاء أحسن، وعلاج أفضل أيضاً، فلا يوجد ما يمنع السماح به في اليهودية.[33]، في حين أضاف الطبيب (أنتينوري) المشارك في ندوة عن الاستنساخ البشري العلاجي "إنَّ استنساخ البشر مسموح به في إسرائيل.[34]

وأوضح الطبيب الإسرائيلي (آفي بن أبراهام) أنَّ الدين اليهودي لا يحرِّم الاستنساخ بالشكل القاطع الذي يحرِّمه به الدين المسيحي... وأنَّ الوقت قد حان لتجاوز قانون الطبيعية".[35]

والحقيقة من خلال عرض أقوال وآراء أصحاب الديانة المسيحية، وأصحاب الديانة اليهودية، تبيَّن أنَّهم يعارضون بحوث الاستنساخ البشري، ويؤيدون حظر الاستنساخ البشري، ويعلنون عن مقتهم الشديد من أي تبديد، أو تدمير للأجنَّة البشرية، ويؤكدون أنَّها تنتهك دائماً المعايير الأخلاقية الأساسية كالكرامة البشرية، ويجادلون لفرض حظر قانوني على استنساخ بشري يهدف إلى إنتاج أطفال، ويقولون استنساخ البشر خطأ وسيبقي خطأ.

3. موقف الشريعة الإسلامية من استنساخ البشر:

لقد تناولت الأقلام العلمية الإسلامية تلك الظاهرة منذ ظهورها، لأن هذه التجارب التي يقوم بها أطباء متخصِّصون، هي من أجل الوصول إلى إيجاد الحلول لبعض المشكلات الطبية التي يعاني منها البشر، منها مثلاً مشكلة العقم، حيث ابتكر الأطباء طريقة الإنجاب غير الطبيعي خارج الاتصال الجنسي المعروف، والذي ينتج النسل عادة، فالاستنساخ البشري مثلاً يعد إحدى الوسائل التي يمكن من خلالها إنجاب أطفال.

إنَّ الحقيقة التي لا يجب أنْ تغيب عن الأذهان هي أنَّ الباحثين في هذا المجال كان مقصدهم من تلك البحوث العلمية، ومن خلال تقنيات الاستنساخ الحيوي علاج العديد من الأمراض التي تصيب الإنسان والحيوان والنبات، والتي كان يصعب علاجها في الماضي، وذلك من خلال الاستنساخ الحيوي للطاقم الوراثي المتخصِّص في توجيه تكوين الخلية، أو النسيج أو العضو المسئول.

ولابد لنا أنْ نعترف بأنَّ قول الطبيب العارف بأمر الاستنساخ طبياً مقبولاً ومحترماً في شرحه لحقيقته، وأمَّا قوله بأنَّ هذا الأمر صحيح أو خاطئ شرعاً، فذلك أمر غير مقبول، لأنَّه من أطباء وعلماء الغرب من لا يؤمن بدين سماوي، ولا يهمه من الأنساب في أصولها واختلالها شيء، ثم أنَّه لا يرى في ذلك أيَّة غضاضة ولا يعد أيَّة أهمية لأنْ يكون الأمر حلالاً أو حراماً، أمَّا الطبيب والعالم المسلم فأنَّه ومن منطلق إيمانه وأخلاقيات دينه ينظر إلى الأمر نظرةً أوسع وأشمل، فهو يبني رأيه في الموضوع وبشرط معرفته الكاملة لكل جوانبه، من منطلق كونه صائباً أخلاقياً أم خاطئاً، متفقاً مع شريعة الله تعالى ومتسعاً معها، أم مفارقاً لها ومتمرِّداً عليها، ومن ثم معرفة هل هو حرام أو حلال، فالفقيه المسلم يجب أنْ يعمل نظره في مثل هذه المسائل مستعملاً ضوابط الاجتهاد الفقهي الطبي، ومستعيناً برأي الخبير الطبي، فليست القضية مجرَّد إنجازات علمية وإيجاد حلول لبعض المشكلات الطبية، ولكنَّها في الشريعة الإسلامية إيجاد الانسجام والتناسق بين متطلَّبات البحث العلمي وتطوره، وبين المبادئ والقيم الثابتة التي يقوم عليها التشريع الإسلامي.

ولكنَّ نظراً لعدم وجود نص صريح يجيز أو يحرِّم مثل هذه العمليات الطبية، كالاستنساخ البشري، وإنَّما هي نصوص عامة من بعض أقوال الفقهاء وقواعدهم الفقهية، الأمر الذي جعل الرأي ليس واحداً، فمن محرِّم لمثل هذه العمليات ومن مجيزها، ولكن ليس

بصورة مطلقة، وإنَّما بضوابط وقيود وشروط إنْ توافرت أُبيحت وإلا فلا، وبالخصوص ورد عن الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر (محمد سيد طنطاوي) قوله: "إنَّ الإسلام ليس ضد العلم، ولكن الأصل أنَّ اختلاط الأنساب حرام، فإذا توصَّل العلم إلى أي وسيلة جديدة ليس فيها شبهة اختلاط الأنساب، فهي حلال، أمَّا المسائل الفنية الخاصة بالهندسة الوراثية، فلا أستطيع أنْ أتحدث فيها، وقد علَّمنا الإسلام أنْ نرجع إلى أهل كل علم، فهم أدرى به".[36]

لقد أشار جانب من الفقه الإسلامي إلى موقف الشريعة من الاستنساخ البشري، ويشير هذا الجانب من الفقه إلى غياب الموقف الكلي المجمع عليه في الفقه الإسلامي، ويضيف إلى ذلك القول إنَّ موضوع الاستنساخ مازال في دور البداية، ومازال يبزغ إلى النور ولم يمر الوقت الكافي لتكوين الموقف، والرأي الكامل عنه في الشريعة الإسلامية.

4. آراء بعض علماء الشريعة الإسلامية حول استنساخ البشر:

الدكتور (نصر فريد واصل)، مفتى الجمهورية المصرية قال: "إنَّ استنساخ الإنسان مخالف للشريعة الإسلامية، وحرام في كل صوره؛ لأنَّه يخالف منهج الإسلام... إنَّ الله حدَّد منهجاً واحداً للتناسل، بعد أنْ نفخ في آدم –عليه السلام– من روحه، وهو العلاقة الشرعية بين الذكر والأنثى، التي تخلق المودة والرحمة بينهما، وتحقِّق استقرار المجتمعات وتعاونها عي السعي بالخير، وما هو مالا يتحقق –إطلاقاً– عند استنساخ الإنسان"[37] كما أضاف (الشيخ ابن عثيمين) من المملكة العربية السعودية "إنَّ الاستنساخ هو أكبر فسادٍ في الأرض، وأرى أنَّ أدنى عقوبة للذين ابتكروا الاستنساخ أنْ تقطع أيديهم من خلافٍ، هذه أدنى عقوبة، وإلا فيجب إعدامهم".[38]

أمَّا فضيلة (الشيخ عبد المعطي بيومي) الأستاذ في جامعة الأزهر أضاف قائلاً: "إنَّ الاستنساخ البشري يتعارض تماماً مع سنة الخلق الإلهي؛ لأنَّه لا يتم عن طريق التقاء كائنين بشريين التقاءً تاماً تتوافر فيه الشروط العاطفية والحسية التي أودعها الله في البشر".[39]

وفي حين ذهب الدكتور (وهبه مصطفي الزحيلي)، أستاذ الشريعة بجامعة دمشق، إلى القول بأنَّه "تحرم كل الحالات التي يُقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية، سواء أكان رحماً، أم بويضة، أم حيواناً منوياً".[40]

وأضاف (الدكتور جاسم الشامس) أستاذ القانون بجامعة الإمارات قائلاً: "إنَّ أساس حرمة الاستنساخ البشري من خلية جسدية، سواء أخذت من رجل غريب أو امرأة، وزرعت في رحم امرأة أخرى، أساس حرمة ذلك أنَّ رحم تلك المرأة قد شُغل بغير وجهٍ مشروع، لأنَّه لا يجوز شغل رحم المرأة إلا بماء زوجها".[41]

سادساً: الاستنساخ البشري:

إنَّ الاستنساخ كما عرَّفنا هو أخذ خلية جسدية من كائن حي، تحتوي على كافة المعلومات الوراثية، وزرعها في بويضة مفرَّغة من مورثاتها، ليأتي المخلوق الجديد أو الجنين مطابقاً تماماً للأصل، أي الكائن الأول الذي أخذت منه الخلية، وبناءً عليه فالاستنساخ ليس خلقاً أو إيجاد من العدم، لأنَّ الخلق على هذا النحو ما ينفرد به الله –عزَّ وجلَّ– فهو الخالق، ولذا اقتصر القرآن في إثبات وجود الله على دليل إمكان الخلق، والآيات كثيرة بالخصوص، منها قوله تعالى" ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[42] وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[43] فليس الاستنساخ إذن تخليقاً، وإنَّما هو عملية دمج بنواة خلية موجودة، وحية أصلاً، أي أنَّ الخصائص والصفات موجودة في الخلية، ويراد تكوين موجودات متشابهة أو متماثلة، أي نقيض الخلق الإلهي الموجود فيه الأضداد، والمتغايرات والأشكال المختلفة، والمواهب، والقدرات العقلية، والطاقات والإمكانات الجسدية، فهناك الجمال والقبح، والتفوُّق والخمول، والكمال والنقص، والذكورة والأنوثة، ليكون بين البشر القائد، والمفكِّر والفقيه والمهندس والطبيب والعامل، ولولا هذا التباين لما كان هناك متعة في الحياة، وهذا التفاوت في الخلق فيه مصلحة للفرد والمجتمع، لهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾.[44]

فإذا كان للاستنساخ خيراً للإنسان ووجوده وتحقيق مصالحه، فلا مانع منه، وإنْ كان ذلك شراً على الإنسان، ومهدِّداً مصالحه، ومحدثاً تغيرات وهزات في تعامله وحياته، فتجب المبادرة لمقاومته والتصدِّي لإبطاله، والمجاهرة بحظره وتحريمه.

توصيات الندوة الفقهية الطبية التاسعة (رؤية إسلامية لبعض المشاكل الطبية) الدار البيضاء 14-17-1997. حول الاستنساخ البشري:

ناقشت الندوة الجوانب الطبية لهذا الموضوع مناقشة مستفيضة وتوصَّلت إلى عدَّة توصيات تتعلَّق بالاستنساخ نذكر منها:

1- تحريم كل الحالات التي يقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية، سواء أكان رحماً أم بويضة، أم حيواناً، أم خلية جسدية للاستنساخ.

2- منع الاستنساخ البشري العادي، فإنْ ظهرت مستقبلاً حالات استثنائية عرضت لبيان حكمها الشرعي من جهة الجواز أو المنع.

3- مناشدة الدول سن التشريعات القانونية اللازمة لغلق الأبواب المباشرة وغير المباشرة أمام الجهات الأجنبية والمؤسسات البحثية والخبراء الأجانب؛ للحيلولة دون اتخاذ البلاد الإسلامية ميداناً لتجارب الاستنساخ البشري والترويج لها.

4- متابعة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية وغيرها لموضوع الاستنساخ و مستجداته العلمية وضبط مصطلحاته، وعقد الندوات واللقاءات اللازمة لبيان الأحكام الشرعية المتعلِّقة به.

5- الدعوة التي تشكيل لجان متخصِّصة في مجال الأخلاقيات الحياتية لاعتماد بروتوكولات الأبحاث في الدول الإسلامية وإعداد وثيقة عن حقوق الجنين.(45)

توصيات مجمع الفقه الإسلامي، دورة المؤتمر العاشر السعودية، جدة، 28 يونيو- 3 يوليو 1997.

إنَّ مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره العاشر بجدة في المملكة السعودية خلال الفترة من 28 يونيو إلى 3 يوليو بسنة 1997م، وبعد اطلاعه على البحوث المقدَّمة في موضوع الاستنساخ البشري، والدراسات والبحوث والتوصيات الصادرة عن الندوة الفقهية الطبية التاسعة التي عقدتها المنظَّمة الإسلامية للعلوم الطبية، بالتعاون مع المجمع وجهات أخرى في الدار البيضاء بالمغرب واستماعه للمناقشات التي دارت حول الموضوع بمشاركة الفقهاء والأطباء، وبناءً على ما سبق من البحوث والمناقشات والمبادئ الشريعة التي طرحت على مجلس المجتمع، قرَّر ما يلي:

1- تحريم الاستنساخ البشري بأي طريقة تؤدي إلى التكاثر البشري.

2- تحريم كل الحالات التي يقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية، سواء أكان رحماً أو بويضة أم حيواناً منوياً أم خلية جسدية للاستنساخ.

3- يجوز شرعاً الأخذ بتقنيات الاستنساخ والهندسة الوراثية في مجالات الجراثيم، وسائر الأحياء الدقيقة والنبات والحيوان، في حدود الضوابط الشرعية بما يحقِّق المصالح ويدرأ المفاسد.

4- مناشدة الدول الإسلامية إصدار القوانين والأنظمة اللازمة لغلق الأبواب المباشرة وغير المباشرة أمام الجهات المحلية أو الأجنبية، والمؤسسات البحثية والخبراء الأجانب للحيلولة دون اتخاذ البلاد الإسلامية ميداناً لتجارب الاستنساخ البشري والترويج لها.

5- المتابعة المشتركة من قبل كل من مجمع الفقه الإسلامي والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية لموضوع الاستنساخ ومستجداته العلمية، وضبط مصطلحاته، وعقد الندوات واللقاءات اللازمة لبيان الأحكام الشرعية المتعلِّقة به.

6- الدعوة إلى تشكيل لجان متخصِّصة تضم الخبراء وعلماء الشريعة لوضع الضوابط الخلقية في مجال بحوث علوم الأحياء (البيولوجيا) لاعتمادها في الدول الإسلامية.

7- الدعوة إلى إنشاء ودعم المعاهد والمؤسسات العلمية، التي تقوم بإجراء البحوث في مجال علوم الأحياء (البيولوجيا) والهندسة الوراثية في غير مجال الاستنساخ البشري، وفق الضوابط الشرعية؛ حتى لا يظل العالم الإسلامي عالةً على غيره، وتبعاً في هذا المجال.

8- تأصيل التعامل مع المستجدات العلمية بنظرة إسلامية، ودعوة أجهزة الإعلام لاعتماد النظرة الإيمانية في التعامل مع هذه القضايا، وتجنُّب توظيفها بما يناقض الإسلام، وتوعية الرأي العام للتثبت قبل اتخاذ أي موقف[46]، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.[47]

سادساً: الاستنساخ البشري من منظور الأخلاق:

إنَّ الجانب الأخلاقي للاستنساخ هو ما يجعله مرعباً بشكل أساسي، لما للأخلاق من دور حضاري سواء في علاقة الإنسان مع الإنسان، أو علاقة الإنسان مع الطبيعة من حوله، فإذا فصل الاستنساخ عن الأخلاق يكون كارثة ستحيق بما تبقَّى من قيم، والبعد

الأخلاقي للاستنساخ هو الذي يمد هذه القضية البيولوجية بالشرعية أو عدم الشرعية، فلا التلاعب بمصير البشر مقبولاً إنسانياً، ولا التلاعب بالطبيعة كذلك.

والحقيقة أنَّ الاستنساخ البشري لو حدث بنجاح، فأنَّه سوف يفتح الباب لكثير من المشاكل الأخلاقية والاجتماعية في المجتمعات، وبخاصة المجتمعات الشرقية المتدينة التي تلتزم بالكثير من تعاليم دينها، وتطبقه في قوانينها الوضعية التي تتناول هذه المجالات.

والاستنساخ يظهر مهدِّداً لمنظومة أخلاقية تشريعية سارت على نهجها البشرية آلاف الأعوام، وتميز عالم البشر عن بقية الكائنات، وهي منظومة الزواج، ذلك أنَّ الاستنساخ لا يتطلَّب بناء أسرة بأركانها المعروفة (أب وأم وأبناء) فكيف للنشأة الأخلاقية أنْ تمارس دورها في ظل افتقاد المنظومة الأسرية؟ فالاستنساخ يفتح الباب أمام الشواذ، سواء من الرجال، أم النساء لكي ينجبوا بهذه الطريقة، فالمرأة يمكن أنْ تأخذ خلية من صديقتها التي تعاشرها جنسياً إذا كانت تريد بنتاً، أو تشتري خلية رجل، إذا كانت تريد ولداً، وتصنعها في بويضة منها، وتحملها في رحمها لمدة تسعة أشهر، ثم تنجب بعدها الطفل الذي تريده، والرجال الشواذ –في المقابل– يمكن أنْ يفعلوا نفس الشيء، بتأجير رحم لأي أم، وأخذ بويضة من أي أم أخرى، أي أنَّ الطفل المتكون على الرغم من أنَّه يحمل الصفات الوراثية للشخص الذي تم أخذ الخلية الجسدية منه، إلا أنَّه لا ينتمي بأي حال من الأحوال إلى الأم التي حملته، أو الأم التي أعطته البويضة هذا في حالات الشذوذ.

إنَّ مجرد أخذ خلية من الزوج ودمجها ببيضة زوجته، فذلك اختلاط بيّن للأنساب، ذلك لأنَّ الشخص المستنسخ سيكون حاصلاً لصفات الأب دون الأم، التي لا تعد أنْ تكون مجرَّد وعاء، فما هو شعور الأم التي تلد جنيناً لا يمت لها بصلة، فهو مجرَّد صورة طبق الأصل من زوجها، فالعطف والحنان والرحمة سرعان ما سيزول من قلب ما تسمَّى أمه؛ لعدم وجود صفة وراثية واحدة للأم تحنو بموجبها على وليدها "ذلك أنَّ الطفل المستنسخ سيكون صورةً طبق الأصل من أحد الأبوين فقط، وهو ما قد يسبِّب ألماً نفسياً للطرف الآخر من إظهار عدم الولاء والحب، ويكفي هذا في هدم أواصر الأسرة التي دعا الإسلام إليها بالتزاوج، وعليه – أنَّ حدث ذلك– كان الاستنساخ معول للهدم لا للبناء".[48]

وبالخصوص أكَّد مدير منظَّمة الصحة العالمية (هيروشيناكاجيما) أنَّ استخدام الاستنساخ الوراثي البشري غير مقبول أخلاقياً؛ لأنَّه ينتهك بعض المبادئ الأساسية للولادة".[49]

والحقيقة أنَّ الإعلان الذي يجسِّد الوعي السياسي والأخلاقي للمجتمع العالمي، قد صادقت عليه 186 دولةً، عضو في اليونسكو، وبمساندة تم الإعلان عنها في البيان (المقدَّس والمستوفي للشروط القانونية) من الولايات المتحدة، وفي الحق فإنَّ المادة 11 من الإعلان تتعهَّد بأنَّ "الممارسات التي تتعارض مع الكرامة الإنسانية، مثل الاستنساخ البشري التكاثري، سوف لن يسمح بها"[50] ولا شك في أنَّ عمليات تطويع الجينات أو التقنية الوراثية، إذا أدَّت لأغراض إنسانية شريفة أو نبيلة كالقضاء على أمراض وراثية أو مستعصية، والتخلُّص من الملوِّثات والعيوب الخلقية، فنحن نرحِّب بها، ونشجِّع عليها، ونباركها، أمَّا إذا أدَّت هذه العمليات لعواقب سيئة أخلاقية واجتماعية وقانونية ونفسية ودينية، فيجب منعها وإيقاف تجاربها السرية والعلنية ومقاومتها بكل الوسائل التي تملكها الدولة لمنع الأوبئة، والأخطار والجرائم والانحرافات، وكل الهزات المثيرة والضارة.

"قد يضع الضمير الأخلاقي العقبات في طريق التنسيل ممَّا سيعيق انتشار هذه التقنية مستقبلاً... ولكنَّه لن يستطيع منعها تماماً".[51]

في حين نجد عالم البيئة الشهير (J.Rifkin) الذي يبذل جهوداً حثيثة لاستصدار تشريعات على المستوى الدولي تحرِّم استنساخ الإنسان، ويرى أنَّ إجازة هذه التجارب تنقل الإنسان من التوالد إلى التناسخ، ومن ثم إلى حضارة التزوير[52] وأضاف العالم (J. Rifin) قائلاً: "إنَّ الاستنساخ البشري يناقض القيم الإنسانية والحضارية كلها، ومضاد للديمقراطية، هذا إذا لم نتحدَّث عن الاتجار البغيض بالإنسان وبأعضائه".[53]

وهناك من العلماء من يدعو إلى اعتبار الاستنساخ البشري جريمة ضد الإنسانية، حيث اعتبر (البروفسيور الفرنسي جان فرنسوا ماتي) عضو اللجنة الاستشارية الوطنية حول الأخلاقية في فرنسا أنَّ على "الأمم المتحدة البحث في مسألة الاستنساخ البشري واعتبارها (جريمة ضد البشرية)، ولكي تتمكَّن المحاكم الدولية في العالم أجمع من التدخُّل فيها... إنَّ إنساناً يكون نسخة عن إنسان آخر لا يعود إنساناً، والاستنساخ هو نوع من الإبادة، لأنَّ الفكرتين تستندان إلى الانتقاء الجيني"[54]، ومن علماء العرب وهم يؤكدون على تحريم إجراء

عمليات الاستنساخ على الإنسان تحريماً باتاً وقاطعاً لما فيها من الضرر لأنَّه يمثل خروجاً على القوانين الإلهية، وبخاصة في الزواج والإنجاب والميراث فنجد (الدكتور عبد الصبور مرزوق)، نائب رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، يقرِّر قائلاً: "لابد من توضيح مخاطر الاستنساخ، وتجاوزاته الأخلاقية، ومن الضروري إعلان ميثاق عالمي يلتزم فيه الباحثون والأطباء بالقيم الأخلاقية، وبمعطيات رسالات السماء التي هي صمام أمان الإنسان في مواجهة (تمرُّد) العلم وجنون البشر".(55)

في حين يذهب (الدكتور محسن الحزمي) إلى القول بأنَّ الاستنساخ البشري يطرح مسألة أخلاقية على جانب كبير من الأهمية، ألا وهي موضوع التجسُّس على أسرار الكائن البشري الكامنة في حافظته الجينية، فأين نحن العرب والمسلمون من كل هذا؟ وما هو دورنا؟ انطلاقاً من قيمنا الاجتماعية، وتقاليدنا الدينية الراسخة".(56)

سابعاً: بعض فوائد استنساخ البشر:

يعتمد الاستنساخ على تقنية الهندسة الوراثية، التي قد يكون له جوانب وفوائد إنسانية، نذكر منها:

1- استنساخ بعض أعضاء الجسد التالفة مثل البنكرياس المسبِّب لمرض السكر من خلال برمجة الحامض النووي المتواجد في الخلية (محل التجربة)، تم تسكينه في اتجاه العضو المراد استنساخه (البنكرياس).

2- استنساخ بدائل الدم الآدمي من خلال إلغاء الهوية المناعية لنسيج الدم المنزوع من الحيوانات، وتغيير الصفات الحيوانية للدم، ثم نقله للإنسان دون لفظ مناعي من الجسد.

3- في ولاية نيوجيرسي الأمريكية توصَّل علماء الهندسة الوراثية إلى تصنيع هيموجلوبين آدمي داخل نوع معيَّن من الخنازير، عن طريق إدخال الجنين الخاص بتصنيع هذا الهيموجلوبين البشري إلى نطفة الخنزير، ممَّا يمكِّنه من إنتاج هيموجلوبين آدمي.(57)

4- إنَّ الاستنساخ هو علاج شرعي للعقم "إنَّ الاستنساخ هو أفضل علاج للعقم، كونه يستبعد المشاكل الصحية التي تصيب الأطفال منذ البداية، ويبدو ذلك مفيداً، لأنَّنا يمكن أنْ نضمن الزوجين طفلاً صحيحاً".(58)

5- إعادة بناء الأعضاء من جديد وغُروس للثدي والجراحة التجميلية، قد يمكِّن من طريق الاستنساخ البشري، التخلُّص من غروس الأثدية الصناعية المصنوعة من السليكون

وغيرها من عمليات التجميل، مع ما قد تسبِّبه من أمراض صناعية، فبدلاً من استخدام مواد غريبة عن الجسم لإجراء مثل هذه العمليات، سيكون في إمكان الأطباء أنْ يصنعوا أنسجة عظمية، ودهنية، ورابطة وغضاريف، تتوافق مع أنسجة المريض نفسه.(59)

ثامناً: أضرار ومفاسد الاستنساخ البشري:

ثمَّة أسباب عديدة تدعو إلى محاربة الاستنساخ البشري، ويعود ذلك إلى المخاطر النفسية الناتجة عنه، إذا ليس هناك من يعلم ما يمكن أنْ تكون عليه تأثيرات إنتاج شخص ما، ممَّن هو توأم لأبيه أو أمه، ولكنَّه مولود في جيل وبيئة مختلفين على هويته وعلاقاته الإنسانية، ويقول المختصون إنَّ الاستنساخ يفضي إلى القضاء على تنوُّع الجينات وديمومتها وصحتها، مثلما هو يقضي على تنوُّع صفات الإنسان.

فكيف يعرف الرجل زوجته من غيرها، والأخرى نسخة مطابقة لها؟ وكيف تعرف المرأة زوجها من غيره؟ وغيره هذا صورة منه.

"إنَّ الحياة ستضطرب وتفسد إذا انتفت ظاهرة التنوُّع واختلاف الألوان التي خلق الله عليها الناس".(60)

وعندما ينتج الإنسان نفسه أكثر من نسخة، ما الذي يضمن له أنَّ هذه النسخ لن تعتدي على حياته المادية؟ فضلاً عن حياته المعنوية، ومن أدْراه أنَّ أحد المنسوخين لن ينحرف سلوكه إلى منحى إجرامي، يؤدي إلى خلل رهيب، وبخاصة وأنَّ النسخ صورة طبق الأصل في الشكل والبصمات، وهل يقبل أحدنا أنْ يكون موجوداً كاحتياطي أو قطع غيار لإنسان آخر؟ في حالة فشل قلبه أو كليته أو عينه؟

كما أنَّ الأخطار كبيرة جداً على البشرية في حال تطبيق الاستنساخ على الإنسان، كاحتمالات تفشِّي أعراض مرض السكري، أو انفصام الشخصية، أو أمراض القلب إذا كان الأشخاص الأصليون مصابين بهذه الأعراض، ولقد لخَّص لنا (الدكتور خالد عبد الله العلي) مدرِّس الوراثة ووكيل كلية العلوم أخطار الاستنساخ في الندوة التي عقدت بجامعة قطر بشأن الاستنساخ البشري بعنوان (الاستنساخ الجيني أسسه وآثاره) الدوحة – جامعة قطر، مارس 1997م– ذكر فيها أهم أخطار الاستنساخ البشري، وهي:

1- القضاء على دور الأسرة.

2- هدم الأهداف الأساسية للعلاقة الزوجية والمتمثِّلة في إنجاب الذرية.

3- انتهاء عصر الرجال وزمن الزواج.
4- فتح أسواق بيع الأجنَّة والأرحام المؤجرة.
5- إمكانية حمل المرأة الجنين كل واحد منهم من أب مختلف(خلط الأنساب).
6- إمكان ولادة المرأة العذراء.
7- وجود نساء يلدن أنفسهن.
8- النيل من كرامة الإنسان وشخصيته وقدرته على الإبداع وتنويع مواهبه.
9- صعوبة منع حد فاصل بين ما هو مقبول وغير مقبول (الشذوذ مثالاً).
10- إمكانية نسخ أموات حفظت خلاياهم، أو ربما جثتهم عند درجة التجمُّد (خلود الأغنياء والأثرياء والعلماء).
11- سوء استخدام التقنية من قبل مجموعات ذات مصالح معيَّنة في المجتمع "المفهوم للاستنساخ".
12- هناك مئات من عيادات الإخصاب والمنتشرة في أنحاء العالم لديهم (حالياً) إمكانيات إنتاج نسخ بشرية والتلاعب في الصفات الوراثية للخلايا قبل إدخالها في البويضة، ممَّا قد يؤدي إلى تفشِّي زراعتها يمكن أنْ يؤدي في الغالب إلى تغيرات في الخلايا.[61]

الخاتمـــة:

ممَّا سبق عرضه نخلص إلى أنَّه يجب أنْ نعارض تجارب الاستنساخ البشري معارضة مبدئية، تستند على قيم ومفاهيم إنسانية وحضارية، كما نطالب البشرية جمعاء بأنْ تشرِّع قوانين تحرِّم هذا التجريب على الإنسان، ونرى أنَّه أجدى بالأموال والجهود التي ستقدِّمها المجتمعات لمعالجة السرطان مثلاً بالاستنساخ أو لإيجاد أعضاء للاغتراس، أو لحل مشكلة عقم الرجال إلى ما هنالك من أسباب يسوقها مؤيدو إجراء تجارب الاستنساخ كمسوِّغات، أجدى بهذه الأموال والجهود أنْ تكرَّس لإيجاد حلول علمية وأخلاقية لهذه المشكلات، حلول تحفظ للإنسان إنسانيته، وكرامته، وتحافظ على قدسية ما خُص به الإنسان من خصائص نبيلة، وخيِّرة، ونرى أنَّه يجب عدم السماح بالعبث بحضارة الإنسان من قيم، ومفاهيم وتراث.

ومن خلال عرض آراء وأقوال الأطباء والعلماء والفقهاء توصَّلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- أنَّ الاستنساخ ليس كما يتصوَّره أو يتوهم بعضهم – خلقاً للحياة – وإنَّما هو استخدام الحياة التي خلقها الله تبارك وتعالى، فالبويضة التي نزعت منها نواتها من خلق الله، والخلية الحيَّة التي غرست في البيضة بدل النواة هي من خلق الله تعالى، وكلتاهما تعمل في محيطهما وفق سنن الله تعالى التي أقام عليها هذا العالم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ﴾ سورة الحجر/86.

2- إنَّ الاستنساخ علم أحاط به الإنسان بمشيئة الله لعلم يعلمه، فهو أعلم بما يريد ويشاء.

3- إنَّ الاستنساخ هو إثبات لقدرة الله وحده، فإذا كان الإنسان بعلمه القليل استطاع أنْ ينجح في إنجاب "دوللي" دون جماع ودون حيوان منوي، أفلا يستطيع الله أنْ يخلق ما يشاء وكيف شاء؟ وأنْ يخلق دون أب وأم؟ وأنْ يخلق دون أم؟ وأنْ يخلق دون أب؟ وأنْ يهب للعقيم غلاماً وللعاقر ولداً.

4- يقول بعض الفقهاء بتحريم الاستنساخ جملة وتفصيلاً، بينما يرى آخرون البقاء فرصة الاستثناءات حاضرة إنْ ثبت لها فائدة، واتسعت لها حدود الشريعة الإسلامية.

5- تحريم كل الحالات التي يقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية، سواء أكان رحماً أو بويضة، أم حيوانا أم خلية جسدية للاستنساخ.

6- أنَّ الاستنساخ المعوَّل عليه بالحرمة هو الاستنساخ الجسدي فقط، حتى لا يتوهَّم تعميم الحرمة في الاستنساخ الجنسي أو العلاجي المضبوط بقواعد الشرع الحكيم.

7- من مخاطر الاستنساخ البشري الكامل، على النحو الذي تم مع النعجة "دوللي" أنَه تغيير في منهج الله بالنسبة إلى الإنسان خليفته في الأرض، مع الاحتمال الغالب مع هذا المنهج في اختلاط الأنساب وضياع معالم البشر، من حيث الجنس والنوع والصفة التي أرادها الله.

8- لقد تبيَّن وجود مخاوف من مخاطر للاستنساخ، منها أنَّه ينتهك فردية وهوية الشخص، ويقوِّض استقرار النظام الاجتماعي، ويدمِّر أسس روابط الدم، والروابط العائلية والتي تعترف بها الشريعة الإسلامية والديانات الأخرى كلها، باعتبارها أساساً للعائلة والنظام الاجتماعي، وسوف تكون لذلك أصداء خطيرة على المبادئ التي تحكم روابط الدم، والزواج، والوراثة، وكذلك القوانين المدنية، والتجريمية.

هوامش البحث:

1. سورة النحل، آية:20.
2. لسان العرب لابن منظور، دار أحياء التراث الإسلامي، بيروت لبنان، ط3، ج14، ص121.
3. قضية استنساخ إنسان، يسري رضوان، دار النشر للثقافة والعلوم، طنطا، ط1، 2000، ص103،102.
4. الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق، الاستنساخ الجوانب الإنسانية والأخلاقية والدينية، وهبة الزحيلى، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1997، ص117.
5. الاستنساخ بين العلم والدين، عبد الهادي مصباح، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، ط2، 1999، ص23-24.
6. لمعرفة كيف تمت عملية استنساخ النعجة "دوللي" خطوة بخطوة راجع كتاب قضية استنساخ إنسان، يسرى رضوان- مصدر سابق، ص23،22.
7. المرجع السابق نفسه، ص59.
8. سنكتفي في هذا المقام بذكر آراء وأقوال علماء وأطباء الغرب "غير المسلمين" وسنذكر آراء وأقوال المباء الإسلام في مبحث الاستنساخ البشري والشريعة الإسلامية الاستنساخ بين العلم والدين، عبد الهادي مصباح مصدر سابق، ص30.
9. الاستنساخ بين العلم والدين، عبد الهادي مصباح، مصدر سابق، ص30.
10. لمعرفة المزيد عن عالم تصنيع الأعضاء البشرية، راجع الاستنساخ بين العلم والدين، عبد الهادي مصباح، من ص72 إلى ص78.
11. الاستنساخ بين العلم والفقه، داود سليمان السعدي، دار الحرف العربي للطباعة، بيروت، لبنان، ط1-2002-ص268.
12. المصدر السابق نفسه، ص270.
13. قضية استنساخ إنسان، يسري رضوان، ص72.
14. الاستنساخ بين العلم الفقه، داود سليمان، مصدر سابق، ص351.
15. المصدر السابق نفسه ص315.

16. الاستنساخ ماله وما عليه، ترجمة أحمد رمُو، دار علاء الدين دمشق، سوريا، ط1، 2001، ص134.
17. الاستنساخ بين العلم والفقه –داود سليمان– ص352.
18. المصدر السابق نفسه، 360.
19. المصدر السابق نفسه،380.
20. المصدر السابق نفسه،42.
21. الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم، ماهر أحمد الصوفي، مطابع الأهرام ، القاهرة، ط1، 1997– ص26.
22. مجلة الجمعية الطبية الأمريكية، طبعة الشرق الأوسط الانكليزية سنة 1997.
23. الاستنساخ بين العلم والفقه، داود سليمان، ص45.
24. الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم، ماهر أحمد الصوفي، ص27– 28.
25. ما بعد الاستنساخ، عبد الباسط الجمل، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1998، ص41.
26. الاستنساخ بين العلم والفقه، داود سليمان، ص389.
27. المصدر السابق نفسه، ص381.
28. المصدر السابق نفسه، ص383.
29. المصدر السابق نفسه، ص383.
30. الاستنساخ بين العلم والدين، عبد الهادي مصباح، ص7.
31. الاستنساخ بين العلم والفقه، داود سليمان، ص378.
32. المصدر السابق نفسه، ص378.
33. ويخشى بعض المفكرين اليهود من أنَّ استنساخ البشر قد يضف أخلاقيات المسؤولية بسبب تبدل الأدوار (أب، أم، طفل)، والعلاقات (زواجية، والدية، بنوية).
34. الاستنساخ البشري بين أوهام الغرب وحقائق الإسلام، محمد فريد الشافعي، دار البيان للنشر، القاهرة، 2003، ص26.
35. المصدر السابق نفسه، ص27.
36. الاستنساخ بين العلم والدين عبد الهادي مصباح، ص7.
37. الاستنساخ بين العلم والفقه –داود سليمان– ص403.

38. المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.
39. المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.
40. المصدر السابق نفسه، ص404.
41. المصدر السابق نفسه، ص404.
42. سورة النحل، آية: 16-17.
43. سورة القصص، آية 68.
44. سورة العنكبوت، الآية 22-28.
45. الاستنساخ بين العلم والفقه -داود سليمان- مصدر سابق- ص401، 402.
46. الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق، مصدر سابق ص234، 235.
47. سورة النساء، الآية:83.
48. الاستنساخ بين أوهام الغرب وحقائق الإسلام – محمد فريد الشافعي- ص50.
49. الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم -ماهر احمد الصوفي- ص26.
50. الاستنساخ بين العلم والفقه – داود سليمان- ص379.
51. قضية استنساخ البشر- يسرى رضوان- مصدر سابق، ص126.
52. الاستنساخ جدل العلم والدين، بحث بعنوان بيولوجيا الاستنساخ هاني رزق، ص80.
53. المصدر السابق نفسه، ص82.
54. الاستنساخ بين العلم والفقه، داود سليمان، ص384.
55. المصدر السابق نفسه، ص405.
56. المصدر السابق نفسه، ص407.
57. الاستنساخ بين العلم والدين، عبد الهادي مصباح، ص69.
58. الاستنساخ بين العلم والفقه، داود سليمان، ص210.
59. المصدر السابق نفسه، ص247.
60. الاستنساخ البشري بين أوهام الغرب وحقائق الإسلام، محمد فريد الشافعي، مصدر سابق، ص59.
61. قضية استنساخ البشر، يسري رضوان، ص129.